Vol. 5 No. 3 (2020): 87-104

RJS Online Journal Research in Islamic Studies UNIVERSITI MALAYA

Received: 2020-10-02 Accepted: 2020-10-26 Published: 2020-12-18

Original Article

العقيدة ودورها في التمكين: العوامل والتحديات

`Aqidah and its Role in Empowerment: Factors and Challenges

Nurullah KURT, [a*] Syed Mohammad Hilmi Syed Abdul Rahman [b] & Nurrulhidayah Ahmad Fadzillah [c]

[a] Professor (Ph.D), Department of Tafseer & Hadith, College of Sharia and Islamic Studies, Kuwait University, P.O. Box, 7438 Khaldiah 72455 Kuwait.

[b] Senior Lecturer (Ph.D), Department of Aqidah and Islamic Thought, Academy of Islamic Studies, University of Malaya, Kuala Lumpur.

[c] Assistant Professor (Ph.D), International Institute for Halal Research and Training (INHART), International Islamic University Malaysia, P.O. Box 10, 50728 Kuala Lumpur.

***Corresponding author, email; Nurullah@ku.edu.kw.**

ملخص:

يحاول هذا البحث التأكيد على أن "دور العقيدة في التمكين" حقيقة تاريخية مركزية ومحورية لا تقبل الشك، عاشها المسلمون فترة طويلة من الزمن، ويعتقد أن ضعفهم اليوم يرجع بالأساس إلى عدم استخدامهم لعوامل التمكين في مواجهة مختلف التحديات رغم وجودها مما يؤذن بتعطيلها أو فقدانها لأسباب كثيرة، ولهذا يتناول البحث بالشرح والتحليل الدقيق الموضوعي أهم تلك العوامل من خلال ثلاثة محاور من أهم محاور العقيدة، المحور الأول: الثقة بنصر الله والجهاد في سبيله، والمحور الثاني: الخوف من مقام الله ووعيده، والمحور الثالث: التوكل على الله، ثم ينتقل البحث إلى الاجابة بالنقد والتحليل والأدلة العقلية والنقلية على أسئلة ثلاثة طرحت من خلال البحث: وهي أين عزة المؤمنين من قوله تعالى:" وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ؟" (سورة المنافقون: 8) ولم هذا الخذلان اليوم في دنيا الاسلام؟ والله يقول:" وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ" (سورة الروم: 47) ولماذا تجب الثقة بالنصر والجهاد في سبيل تحقيقه؟ ويأخذ البحث بيد القرائ الكريم ويضعها على أن المشكلة تكمن في المسلمين أنفسهم، وذلك من خلال المقارنة الموضوعية بين المسلمين وغير المسلمين، رافضا اعتذارات المسلمين الواهية وغير المنطقية وغير العلمية.

الكلمات المفتاحية: التمكين، العقيدة، العقيدة والتمكين، عوامل التمكين، تحديات التمكين.

ABSTRACT

This research is an attempt to detect that the concept of "role of faith in empowerment of the vulnerable people in the earth and its factors as well as challenges in the light of the Holy Quran" is undoubtedly a historical fact that witnessed by Muslims for a long period. The researcher believes that the weakness of the today's Muslims is in lack of use of the existing empowerment factors they have stalled for various reasons. Therefore, it is the intention of the researcher to undertake an insight to explain and analyze the most important factors of the issue through three themes: i) Confidence in victory of Allah and Jihad in His path, ii) Fear of Allah and His threats, and iii) Dependence on Allah. The researchers also critically and analytically answered three questions posed in this article with logic and literature abstracted evidences: Where is dignity of the believer from the Qur'anic verse that says "And to Allah belongs [all honor], and to His Messenger, and to the believers, but the hypocrites do not know." (al-Munafiqun, 63:8). Why is there abandonment today in the world of Islam? While Allah says, "and incumbent upon Us was support of the believers." (al-Rum, 30:47). Why is it necessary to be confident in victory and jihad in order to achieve it? The author concluded the research with an objective comparison between Muslims and non-Muslim, that the problem lies in Muslims themselves and he rejected the flimsy, illogical and non-scientific reasoning.

Keywords: Empowerment, 'Aqidah, 'Aqidah and empowerment, factors of empowerment, challenges of empowerment.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا ومولانا محمد، وعلى آله وأصحابه سند المؤمنين المستضعفين، ومن دعا بدعوتهم إلى يوم الدين.

لا شك أن القرآن الكريم نعمة إلهية وحلقة وصل بين العباد وخالقهم، لا يعلم قدرها إلا من ذاقها وعاش بها ولها ومعها. وهو كتاب هداية وقائد حياة للبشرية جمعاء، كما أنه منبع العلم والقوة، والوحدة، والتمكين، ومصدر االعقيدة الصحيحة، والمرشد الأمين إلى إكتشاف الطاقات بمختلف أنواعها وأشكالها يوما بعد يوم بما لا يترك مجالا للشك في كونه من عند الله سبحانه وتعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِينا[1]".

إن موضوع "العقيدة ودورها في التمكين العوامل والتحديات" حقيقة تاريخية تكررت مرات عديدة على أرض الواقع بفضل الله وفضل الدم الطاهر لهؤلاء الشهداء الذين بذلوا كل جهودهم في تجميع وتوفير وتطبيق عوامل التمكين، واستخدامها استخداما صحيحا لصالح الأمة الإسلامية للتغلب على مختلف التحديات التي كانت وما زالت تواجه التمكين في الأرض، وإفشالا لهؤلاء الذين كانوا وما يزالون يبذلون أخبث الأساليب وأقبح الجهود مثل الفتنة الطائفية والمذهبية والعنصرية والنعرات القومية هنا وهناك على على حد سواء. في محاولات بائسة منهم لتفكيك الأمة من خلال تفكيك تلك العوامل.

إن هذه حقيقة لا تقبل الشك من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن اهتمام القرآن الكريم بتلك العوامل عبر آيات متعددة ومتنوعة من حيث النزول زمانا ومكانا، ومتحدة من حيث الهدف والاتجاه دليل على أنه لا حياة كريمة للأمة الإسلامية بدون معرفة هذه العوامل، والاستفادة منها بطرق صحيحة، في مراحل مدروسة، وبخطوات ثابتة.

---

[1] القرآن، سورة النساء: 174.

نعم لا قيمة للأمة الإسلامية، ولا دور لها في الحياة بين الأمم إن لم تستخدم تلك العوامل التي بها وبها فقط يعلو صوتها، وبها فقط تحترم بين الأمم احتراما يليق بها. وبالتالي فإن أي جهود تبذل يجب وأن يكون الهدف منها اكتشاف تلك العوامل، ومعرفة كيفية استخدامها، وجعل العقيدة الصحيحة ركنا متينا لها حتى يتحقق التمكين في أرض الله سبحانه.

إن الأمة الإسلامية تمر اليوم بأصعب المراحل الاجتماعية والتعليمية والسياسية والاقتصادية والأخلاقية وغيرها في تاريخها الطويل، حتى نكاد نقول إنها لم تشهد مرحلة حساسة ومصيرية بقدر ما تشهده اليوم من تطورات هائلة تحدث في قلب العالم الإسلامي، وتتحارب عليها أطراف متعددة كل وما يريد من نصيب أوفر من هذه التطورات. فالأمة الإسلامية مطالبة اليوم بدراسة عوامل تمكينها، العوامل التي نعتقد أنها معطلة من زمن بعيد جدا، كما أن عليها معرفة طرق الاستفادة منها بشكل صحيح حتى لا تكون فريسة لذئاب بشرية لا تعرف غير الظلم والبطش والتنكيل والتشريد والغصب والاحتلال والتدخل في تقرير مصير المستضعفين من المسلمين وغير المسلمين على حد سواء.

التمكين في الأرض– العوامل والتحديات

نعتقد أن الأمة الإسلامية –والمستضعفين منها على وجه الخصوص– حالها كحال غيرها من الأمم على وجه المعمورة تملك عوامل هائلة وعظيمة مادية كانت أو معنوية، جسمانية كانت أو روحانية، عقدية كانت أو عملية، وليس من المستحيل أن تستفيد الأمة من هذه العوامل إن عرفت الطريق إليها، وعلمت كيفية استعمالها في الوقت المناسب استعمالا صحيحا، ونعتقد كذلك أن ضعف الأمة الإسلامية اليوم ليس شيئا إلا نتيجة إهمال أو عدم استخدامها لتلك العوامل، والموجودة عندها فعلا، ولكنها معطلة بفضل الاستعمار والاحتلال العسكري الغربي أو الشرقي لبلدان العالم الإسلامي على وجه الخصوص، ونهب ثرواتها بقوة السلاح، والضرب على الرؤوس منذ عشرات السنين.

لقد جرب الغرب والشرق فينا كل أنواع سلاحه الفتاكة، وما زالوا يجربون كلما أنتجوا أحدث نوع من القنابل والصواريخ والطائرات المقاتلة. نعم يجربون ولا يتأخرون عنه قيد أنملة، إلا أن السؤال هل ستبقى الأمة هكذا متفرجة أو مكتوفة الأيدي أمام هذه الظاهرة الاستعمارية الغربية الظالمة الغاشمة؟ كلا، لقد بدأت الأوضاع تتغير وبشكل متسارع لصالح المستضعفين تغيرا لم يسبق له مثيل في تاريخها منذ انتهاء عصر اسقاط الخلافة العثمانية تقريبا.

إن المستضعفين اليوم يمرون بمرحلة حساسة للغاية، وإن من واجبهم دراسة عوامل تمكينها، ومراجعتها من جديد، ومعرفة كيفية استخدامها استخداما صحيحا يقضون بها على التخلف الذي ناعني منه في مختلف مجالات حياتنا في عالمنا الإسلامي.

إن عدم دراسة هذه العوامل، وعدم استخدامها بشكل صحيح وفي الوقت المناسب سوف يؤدي من غير أدنى شك إلى مواصلة أطماع الغرب في نهب ثورات العالم الإسلامي، وبالتالي سيؤدي بنا حكاما ومحكومين لتعرض عدوان غاشم ظالم من طرفهم كما هو الحال – للأسف الشديد– في كثير من بلدان العالم الإسلامي.

هذا، والجدير بالذكر أننا لا نريد هنا تحليل جميع عوامل التمكين في هذه العجالة، بل نريد ذكر بعضها فقط، حيث نعتقد أن هذا البعض هو أهم عوامله. وإليك تلك العوامل ضمن ثلاث محاور:

المحور الأول–الثقة بالنصر والتضحية في سبيله

من متطلبات العقيدة الصحيحة محاولة التمكين في الأرض، والوصول إلى الحياة الإسلامية على وجه المعمورة، من مبدأ وجوب الثقة بالنصر والتضحية في سبيل تحقيقه. فإن التضحية في سبيل تحقيق النصر واجب أيا كان الثمن، ومهما ادعى الناس أن الوقت

غير مناسب، وأن الظروف لا تسمح. بل لابد من مواصلة التضحية في سبيل تحقيق النصر في كل وقت ومكان حيب الامكانيات المتاحة لدى أبناء الأمة.

يجب على أبناء العقيدة الإسلامية الصحيحة التي لا تقبل حكما غير حكم الله في الأرض، هؤلاء الأبناء المستضعفون الذين يريدون ويتطلعون إلى استئناف الحكم الاسلامي في الأرض من جديد، أن يكونوا على ثقة تامة بأن نصر الله لهم قادم لا محالة، مهما رأى الآخرون غير ذلك، ومهما تباطأ الناس في استجابة دعوتهم الإيمانية، لأن المقياس الذي يجب أن يعتمد عليه الدعاة هو المقياس الإلهي، لا المقياس البشري، قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ[2]". يقول الإمام القرطبي رحمه الله: أي إن تنصروا دين الله ينصركم على الكفار. نظيره: " وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ[3]" يقول قطرب: إن تنصروا نبي الله ينصركم الله، والمعنى واحد." وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ" أي عند القتال. وقيل على الإسلام. وقيل على الصراط. وقيل: المراد تثبيت القلوب بالأمن، فيكون تثبيت الأقدام عبارة عن النصر والمعونة في موطن الحرب[4]. ويقول الدكتور وهبة الزحيلي في تفسير الآية السابقة: يا أهل الإيمان بالله والقرآن والإسلام إن تنصروا دين الله ينصركم على أعدائكم، ويثبّت أقدامكم عند القتال في مواطن الحرب، حتى تتحقق الغلبة والعزة والتفوق لكم، وتكون كلمة الله هي العليا[5]. وقال تعالى: "وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ[6]". يقول الإمام البغوي رحمه الله تعالى: وإنجاؤهم من العذاب ففي هذا تبشير للنبي صلى الله عليه وسلم بالظفر في العاقبة والنصر على الأعداء. قال الحسن: أنجاهم مع الرسل من عذاب الأمم[7]. وقوله: "وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ[8]".

من المعلوم أن هذه الآية التي بين أيدنا من سورة القصص المكية، مما يعني أن البشارة بالتمكين جاءت في وقت مبكر من تاريخ الأمة، بل في وقت كانت الأمة تعاني من قلة وضعف واتهاد وتهديد بالقتل والسوط والعذاب والتنكيل وغيرها، يقول سيد قطب رحمه الله تعالى: نزلت السورة (سورة القصص) والمسلمون في مكة قلة مستضعفة، والمشركون هم أصحاب الحول والطول والجاه والسلطان. نزلت تضع الموازين الحقيقية للقوى والقيم، نزلت تقرر أن هناك قوة واحدة في هذا الوجود، هي قوة الله وأن هناك قيمة واحدة في هذا الكون، هي قيمة الإيمان. فمن كانت قوة الله معه فلا خوف عليه، ولو كان مجردا من كل مظاهر القوة، ومن كانت قوة الله عليه فلا أمن له ولا طمأنينة ولو ساندته جميع القوى ومن كانت له قيمة الإيمان فله الخير كله، ومن فقد هذه القيمة فليس بنافعه شيء أصلا[9].

نعود مرة أخرى إلى قوله تعالى: "وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً، وَنَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ، وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ[10]". وما قاله سيد قطب رحمه الله في تفسيرها، حيث يقول: فهؤلاء المستضعفون الذين يتصرف الطاغية فرعون في شأنهم

---

[2] القرآن، سورة محمد: 7.

[3] القرآن، سورة الحج:40.

[4] القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964م، عدد الأجزاء: 20 جزءا، جزء 16، صفحة232.

[5] الزحيلي، وهبة بن مصطفى، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة: الثانية، 1418هـ، عدد الأجزاء: 30، جزء 26، صفحة: 88.

[6] القرآن، سورة الروم: 47.

[7] البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، 1417 هـ - 1997م، عدد الأجزاء: 8، جزء 6، صفحة: 275.

[8] القرآن، سورة القصص: 5.

[9] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، دار الشروق، 1985، الطبعة الحادية عشرة، العدد 6 مجلدات، المجلد الخامس، صفحة: 2673 - 2674.

[10] القرآن، سورة القصص: 5.

كما يريد له هواه البشع النكير، فيذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم، ويسومهم سوء العذاب والنكال. وهو مع ذلك يحذرهم ويخافهم على نفسه وملكه فيبث عليهم العيون والأرصاد، ويتعقب نسلهم من الذكور فيسلمهم إلى الشفار كالجزار! هؤلاء المستضعفون يريد الله أن يمن عليهم بهباته من غير تحديد وأن يجعلهم أئمة وقادة لا عبيدا ولا تابعين وأن يورثهم الأرض المباركة (التي أعطاهم إياها عند ما استحقوها بعد ذلك بالإيمان والصلاح) وأن يمكن لهم فيها فيجعلهم أقوياء راسخي الأقدام مطمئنين. إنها قوتان وجها لوجه: قوة فرعون المنتفشة المنتفخة التي تبدو للناس قادرة على الكثير. وقوة الله الحقيقة الهائلة التي تتهاوى دونها القوى الظاهرية الهزيلة التي ترهب الناس[11]!.

وقوله تعالى:"أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ، وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جاهَدُوا مِنْكُمْ، وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ[12]". يقول الشيخ الشعراوي رحمه الله: إن الإيمان ليس مجرد كلمة تقال هكذا، بل لا بد من تجربة تثبت أنكم فُتِنْتُم ونجحتم في الفتنة، والفتنة هي الامتحان، إذن فلا تحسبوا أن المسألة سوف تمر بسهولة ويكتفي منكم أن تقولوا نحن نحمل دعوة الحق، لا. إذا كنتم صادقين في قولكم يلزمكم أن تكونوا أسوة حين يكون الحق ضعيفا؛ فالحق حين يكون قويا فهو لا يحتاج إلى أسوة. بل قضية الإيمان الحق تحتاج إلى الأسوة وقت الضعف. ودخول الجنة له اختبار يجب أن يجتازه المؤمن. والحق يقول: "وَلَمَّا يَعْلَمِ الله الذين جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصابرين" وعندما نسمع ذلك فعلينا أن نعرف أن الله يعلم علما أزليا من المجاهد ومن الصابر، ولكنه علم لا تقوم به الحُجة على الغير، فإذا حدث له واقع صار حُجة على الغير[13].

ويقول الإمام الواحدي رحمه الله تعالى: "أم حسبتم" بل أحسبتم: أَي: لا تحسبوا "أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله" أَيْ: ولمَّا يقع العلم بالجهاد مع العلم بصبر الصَّابرين، والآية خطابٌ للذين انهزموا يوم أُحدٍ. قيل لهم: أحسبتم أن تدخلوا الجنَّة كما دخل الذين قُتلوا وثبتوا على ألم الجرح والضَّرب من غير أن تسلكوا طريقهم وتصبروا صبرهم؟![14].

أسئلة ثلاثة:

1- أين عزة المؤمنين من قوله تعالى:" وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ؟[15]".

2- ولم هذا الخذلان اليوم في دنيا الإسلام؟ والله يقول:" وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ[16]".

3- لماذا تجب الثقة بالنصر، والتضحية في سبيل تحقيقه؟

المشكلة تكمن في المسلمين أنفسهم

أولا-للإجابة على السؤالين الأولين نقول -وبالله التوفيق-:

إذا بحثنا عن الموضوع، وقلبنا بعض صفحات تاريخ صدر الإسلام، وراجعنا ولو قليلا القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، نجد أن

---

[11] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، المجلد الخامس، صفحة: 2678.

[12] القرآن، سورة آل عمران: 142.

[13] الشعراوي. محمد متولي، **تفسير الشعراوي**، مطابع أخبار اليوم، 1997، عدد الأجزاء: 20، جزء 3، صفحة: 1986.

[14] الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، 1415 هـ ج1، صفحة 234.

[15] القرآن، سورة المنافقون: 8.

[16] القرآن، سورة الروم: 47.

السبب الذي سادت به الأمة الإسلامية سابقا، واستقام به أمرها قد أصبح مفقودا إلى حد كبير اليوم. وان كان هناك شيء بقي من شعائر الإسلام لدى مسلمي اليوم فإنما هو شعائر تحتاج إلى روح أقوى، حتى لا تكون مجرد أسماء ليس لها مسميات في دنيا الواقع. وواضح لو كان وعد الله للمؤمنين بالعزة والتمكين بمجرد الاسم دون الفعل والعمل، لكان يحق لنا أن نقول: أين عزة المؤمنين من قوله تعالى: "وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ"؟[17]. وواضح كذلك، لو كان المراد من قول الله: " وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ[18]". بمعنى أنه ينصرهم بدون أدنى مزية فيهم سوى أنهم يعلنون كونهم مسلمين لكان ثمة محل للتعجب من هذا الخذلان بعد ذلك الوعد الصريح بالنصر. ولكن النصوص القرآنية هي غير هذا تماما، فالله غير مخلف وعده، والقرآن لم يتغير، وانما المسلمون هم الذين تغيروا، والله أنذرهم بهذا منذ زمن بعيد قائلا: "إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ[19]". فلما كان المسلمون قد غيروا ما بأنفسهم كان من العجب أن لا يغير الله ما بهم، وأن لا يبدلهم الذلة والضعف، بدل تلك العزة وذاك التمكين، وتلك القوة، بل كان سيعد ذلك منافيا ومتناقضا للعدل الإلهي. والله عز وجل هو العدل المحض.

كيف ترى في أمة ينصرها الله بدون عمل، ويفيض عليها الخيرات التي كان يفيضها على آبائها، وهي قد قعدت عن جميع العزائم التي قد كان يقوم بها آباؤها من قبل؟ ألا يكون ذلك مخالفا للحكمة الإلهية والله هو العزيز الحكيم؟ وما قولك في عزة دون استحقاق، وفي غلة دون حرث ولا زرع، وفي فوز دون سعي ولا كسب، وفي تأييد دون أدنى سبب يوجبه؟ لا جرم أن هذا مما يغري الناس بالكسل، ويحول بينهم وبين العمل، بل مما يخالف النواميس التي أقام الله الكون عليها، وهو مما يستوي به الحق والباطل، والضار والنافع، والموجب والسالب، وحاشى لله أن يفعل ذلك. ولو أيد الله مخلوقا بدون عمل لأيد رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم، ولم يطالبه صلى الله عليه وسلم بالقتال والنزال والنضال، واتباع سنن الكون الطبيعية للوصول إلى الغاية المنشودة، ألا وهي التمكين في الأرض، وتطبيق العقيدة الصحيحة فيها بكل ما تعنيه الكلمة من معان ودلالات وأهداف.

تصور كذلك لو أن أمة لله عندها مائة، وهي تؤدي من المائة خمسة فقط، أتعد نفسها قد أدت ما عليها وهي تطمع في أن يكافئها الله كما كان يكافئ أجدادها الذين كانوا يؤدون المائة مائة، وإن قصروا عن المائة أدوا بالأقل تسعين أو ثمانين منها؟ كل هذا مخالف لما وعد الله به رسله، ومخالف للعقل والمنطق، ومخالف لحكمة التشريع، وليس هذا هو الشرط الذي شرطه الله على المؤمنين، وليس هذا هو البيع الذي يستبشر به الله المؤمنين. قال تعالى: "إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ[20]".

فأين حال المسلمين اليوم من هذا الوصف القرآني؟ وأين حالهم من سلفهم الذين كانوا يتهافتون على الموت الأحمر لإحراز الشهادة، وكثيرا ما كانوا ينشدون الموت ولا يجدونه؟ وكان فارسهم بين الكر والفر في المعركة الجهادية، وهو يقول: إني لأشم ريح الجنة، ثم لا يزال يكر ويخوض غمرات الحرب حتى إذا استشهد قال: هذا يوم الفرح، وإذا فاتته الشهادة رغم حرصه عليها عاد إلى قومه حزينا كئيبا[21].

يقول الإمام البغوي رحمه الله تعالى: قال محمد بن كعب القرظي: لما بايعتِ الأنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة

---

[17] القرآن، سورة المنافقون: 8.

[18] القرآن، سورة الروم: 47.

[19] القرآن، سورة الرعد: 11.

[20] القرآن، سورة التوبة: 111.

[21] الأمير شكيب أرسلان، **لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم**، مؤسسة هنداوي سي آي سي، صفحة: 14. بتصرف يسير.

العقبة بمكة وهم سبعون نفسا، قال عبد الله بن رواحة: يا رسول الله اشترط لربك ولنفسك ما شئت. فقال: أشترط لربي عز وجل: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأشترط لنفسي، أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم. قالوا: فإذا فعلنا ذلك فما لنا؟ قال: الجنة، قالوا: رَبِحَ البيع لا نقيل ولا نستقيل، فنزلت: "إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ "وقوله: "وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا" أي: ثواب الجنة لهم وعدٌ وحقٌ "فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ" يعني أن الله عز وجل وعدهم هذا الوعد، وبيَّنه في هذه الكتب.

وقيل: فيه دليل على أن أهل الملل كلهم أُمروا بالجهاد على ثواب الجنة، ثم هَنَّأهم فقال: "وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا" فافرحوا "بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ" قال عمر رضي الله عنه: إن الله عز وجل بايعك وجعل الصفقتين لك[22].

المسلمون وغير المسلمين مقابلة

فقد المسلمون أو قل أكثرهم حماسة المقاومة اليوم، والتضحية بمعناها العام في سبيل الله، التي كانت عند آبائهم، وتخلق بها أعداء الإسلام الذين لم يوصهم كتابهم بها، فتجد جنودهم تتوارد على حياض المنايا سباقا، وتتلقى الأسنة والحراب عناقا، ولقد كان مبلغ مفاداتهم بالنفائس وتضحيتهم للنفوس في الحرب العالمية فوق تصور عقول البشر، كما هو معلوم لكل باحث. فليقل لي قائل: أي أمة مسلمة اليوم تتقدم على ما أقدم عليه هؤلاء النصارى من بيع النفوس وإنفاق الأموال بدون حساب في سبيل أوطانهم، ودولهم حتى نعجب نحن وربا نقول: لماذا آتاهم الله هذه النعمة والعظمة والثورة، وحرم منها المسلمن أقل جزء منها؟ وقد يقال: إن المسلمين فقراء، وليس عندهم هذه الأموال لينفقوا كما ينفقها الأعداء. فنجيب ونقول: إننا نوزع هذه النفقات على الغربيين بنسبة رأس المال، ولا نكلف المسلمين إلا بالانفاق مثل الغربيين على هذه النسبة، فهل تسخو الأمة الإسلامية الحاضرة بما تسخو الأمم الغربية التي منها من قد أنفق في الحرب العالمية أكثر من نصف ثروتها؟ الجواب: لا. ليس في المسلمين اليوم من يفعل ذلك لا أفرادا ولا أقواما، وندر فيهم من يخرج وينفق حتى الزكاة الشرعية[23].

سيكون نوعا من العبث إذا أرادت الأمة الإسلامية حفظ استقلالها السياسي والاجتماعي والأخلاقي والاداري والعسكري والاقتصادي والثقافي بدون تضحية، ولا مجاهدة بالمال، وتطلب من الله النصر على غير الشرط الذي اشترطه في النصر، فان الله سبحانه وتعالى يقول: "أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ[24]".

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى: "أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ" قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه: فعرفت أنه سيكون قتال[25]. وقوله:" وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ" أي: هو قادر على نصر عباده المؤمنين من غير قتال، ولكن هو يريد من عباده أن يبذلوا جهدهم في طاعته، كما قال: "فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ

---

[22] البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، جزء 4، صفحة: 98.

[23] الأمير شكيب أرسلان، **لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم**، صفحة: 15. بتصرف يسير.

[24] القرآن، سورة الحج: 39 – 40.

[25] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، **تفسير القرآن العظيم**، المحقق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى – 1419 هـ، الجزء الخامس، صفحة: 381.

بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ[26]". وقال تعالى: "قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلا رَسُولِهِ وَلا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ[27]". وقال تعالى: "أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ[28]". وقال: "وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ[29]".

ومن المعلوم أن الله غير محتاج إلى نصرة أحد، وإنما يريد بنصرته لعباده طاعة أوامره، واجتناب نواهيه، إلا ان العباد أهملوا جميع ما أمرهم به أو أكثره، واعتمدوا في استحقاقهم النصر على كونهم مسلمين موحدين، وظنوا أن هذا يغنيهم عن الجهاد بالأنفس والأموال. ومنهم من اعتمد على الدعاء والابتهال لرب العزة لأنه يجده أيسر عليه من القتل والبذل. ولو كان مجرد الدعاء يغني عن الجهاد لاستغنى به النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام وسلف هذه الأمة الصالحون عن الجهاد والتضحية في سبيل الله بكل ثمين وغال، فانهم الطبقة التي هي أولى بأن يسمع الله دعاءها. ولو كانت الآمال تبلغ بالأدعية والأذكار، دون الأعمال والآثار، لانتقضت سنن الكون، وبطل التشريع ولم يقل الله تعالى: "وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى[30]". ولم يقل: "وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ[31]". ولم يقل: "قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ[32]". ولم يقل: "أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى[33]". يقول الأمير شكيب رحمه الله: لقد ظن كثير من المسلمين أنهم مسلمون بمجرد الصلاة والصيام وكل ما لا يكلفهم بذل دم ولا مال، وانتظروا على ذلك النصر من الله. وليس الأمر كذلك فان عزائم الإسلام لا تنحصر في الصلاة والصيام، ولا في الدعاء والاستغفار، وكيف يقبل الله الدعاء ممن قعدوا وتخلفوا، وقد كان في وسعهم أن ينهضوا ويبذلوا[34].

استنهاض روح الإنفاق والبذل عند المسلمين من جديد

نحن نعلم أن نسبة الإنفاق في سبيل الخير ومساعدة المحتاجين والمحرومين والفقراء المسلمين في وقتنا الحاضر ليست على القدر المطلوب رغم تحريض القرآن الكريم والسنة النبوية عليه في أماكن كثيرة، ومناسبات متعددة، ونعلم كذلك أن معظم المسلمين اليوم غير قادرين عليه كمال القدرة نظرا لوضعهم المادي العاجز عن الإنفاق المطلوب لبناء مجتمع فاضل يسوده الإيثار وروح الأخوة، وتقديم مصلحة المجتمع على مصلحة الفرد، والمصلحة العامة على المصلحة الخاصة، نعم نعلم ذلك، لكن المؤسف أن المسلمين لا يقومون حتى بالحد الأدنى من الإنفاق في كثير من الأوقات أيضا.

يقول الأمير شكيب رحمه الله: يقولون: ليس عند المسلمين ما عند الأمريكان والغربيين من الثروة والسعة لينفقوا في أعمال

---

[26] القرآن، سورة محمد: 4 – 6.

[27] القرآن، سورة التوبة: 14 – 16.

[28] القرآن، سورة آل عمران: 142.

[29] القرآن، سورة محمد: 31.

[30] القرآن، سورة النجم: 39.

[31] القرآن، سورة التوبة: 105.

[32] القرآن، سورة التوبة: 94.

[33] القرآن، سورة آل عمران: 195.

[34] الأمير شكيب أرسلان، **لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم**، صفحة: 16.

الخير، وفي مساعدة بعضهم بعضا. فنقول لمن يحتج بهذه الحجة: إننا نرضى منهم أن ينفقوا على نسبة رؤوس أموالهم. فهل المسلمون فاعلون اليوم هذا القدر الزهيد أيضا؟ كلا[35]. ويقول رحمه الله تعالى: إن تاريخنا الحديث سجل لنا إنفاق المسلمين لمساعدة إخوانهم في فلسطين بعد وقائع دموية حدثت بينهم وبين اليهود في الأرض المقدسة بصفحات سوداء، لقد كان أول معركة بين الفلسطينيين وبين اليهود عام ألف وتسعمائة تسعة وعشرين، يعني قبل احتلال فلسطين بتسعة عشر عاما تقريبا، فماذا كان حجم إنفاق المسلمين لإخوانهم هناك؟ وماذا كان مساعدة يهود العالم لملتهم في فلسطين؟ يقول المرحوم شكيب: فأخذ اليهود في جميع أقطار الدنيا (وكان عددهم قرابة عشرين مليونا) يساعدون المصابين من يهود فلسطين، فبلغت تبرعاتهم لأبناء ملتهم مليون جنيه، وأراد العالم الإسلامي (وكان عدده قرابة أربعمائة مليون) أن يساعد عرب فلسطين كما هو طبيعي، فبلغت تبرعاتهم كلها ثلاثة عشر ألف جنيه أي نحو جزء من مائة. وهي رقم مضحك ومخز، أهذا ما تريدون أن تسموه "تضحية"؟ أو بمثل هذا تجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم؟ أو هذه درجة نجدتكم لإخوانكم في الدين وجيرانكم في الوطن والقائمين عنكم بالدفاع عن المسجد الأقصى الذي هو ثالث الحرمين وأول القبلتين؟ أفلم يقول الله تعالى: "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ[36]". أفهذه نجدة الأخ لأخيه؟[37]. إن المشكلة تكمن في المسلمين عامة وفي أغنيائهم خاصة، لو أنفق كل مسلم درهما واحدا لمساعدة إخوانهم في فلسطين آنذاك لما كان حال هكذا اليوم، لكنا في حال أحسن من حالنا الحالي بكل يقين إن شاء الله. قال تعالى: "لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ[38]". ثم قال تعالى: "إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ[39]".

لماذا تجب الثقة بالنصر ولماذا يجب الجهاد في سبيله؟

هذا لا بد منه، ولكن لا يمنع هذا أيضا من أن يسأل سائل سؤالا ثالثا فحواه: لماذا تجب الثقة بالنصر ولماذا يجب الجهاد في سبيل تحقيقه؟

قبل محاولة الإجابة عن السؤال السابق، نقر بأنه سؤال حق وفي غاية الأهمية، كما أنه معقول ومنطقي في نفس الوقت كذلك، ومن حق أي إنسان منصف أن يسأله. وللإجابة على هذا السؤال الثالث نقول –وبالله التوفيق–:

أولا–أن هناك فرقا واضحا بين الذي يعمل وهو واثق بأن هذا العمل سيوصله إلى الهدف المطلوب المنشود، وأنه سيتمكن من تحقيق كل ما يريده مستقبلا عاجلا أو آجلا، وبين الذي يعمل ولا يرى هدفا معينا لما يفعل، ولا يثق هو نفسه بأن عمله سوف يوصله إلى تحقيق شيء ما يذكر. وهذا هو مفرق الطريق بين الداعي إلى الله على بصيرة "قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ[40]" وبين الداعي على غير بصيرة من ناحية، كما أنه بحد ذاته هو مفرق الطريق كذلك بين الإنسان والحيوان من ناحية أخرى، فالإنسان أعطي السمع والبصر والعقل... لينتفع بها ويستخدمها فيما يرضي الله تعالى، وليكون على بصيرة في كل أفعاله وأقواله، فإن لم يستخدمها فيما هو المطلوب أو كما هو المطلوب فما هو الفرق بينه

---

35 الأمير شكيب أرسلان، **لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم**، صفحة: 16 – 17.

36 القرآن، سورة الحجرات: 10.

37 الأمير شكيب أرسلان، **لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم**، صفحة: 17 – 18.

38 القرآن، سورة التوبة: 91.

39 القرآن، سورة التوبة: 93.

40 القرآن، سورة يوسف: 108.

وبين الحيوان إذن؟! اللهم رجلان وأربعة.

ثانيا–كلما كانت ثقة الشـــخص أتم بالعمل الذي يعمله، كان عمله أكثر جدية، وأكبر نفعا، وأقرب إلى النجاح، وكلما كانت ثقته أقل من اللازم كان عمله أقل وأضعف من المطلوب، بل احتمال نجاحه يزداد ضعفا على ضعف. ولعل هذا هو أهم الأسباب التي حملت الصحابة رضي الله عنهم على سلوك كل طريق صعب في سبيل تحقيق نصر للإسلام، لأنهم بكل تأكيد كانوا على أعلى ثقة تامة بأن الله لا يخذلهم، وأن النصـــر حليفهم لا محالة عاجلا أو آجلا، طالما أنهم على طريق الحق، وكانوا يدركون جيدا معنى قول الله سبحانه وتعالى: "وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ[41]". أنه وعد لعباده المؤمنين، ولكنه وعد مشروط، بشروط معينة: "وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُـلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِـنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ وَلَنُسْـكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ[42]". ولنا وقفة خاصة مع هذه الآية لاحقا إن شاء الله تعالى.

هذه الشروط التي أشرنا اليها آنفا ضمن الآيات الكريمة، يجب توفرها فيمن يريد تحقيق ذلك الوعد على أرض الواقع، وبالتالي تحقيق نصر مؤزر للإسلام والمسلمين إن شاء الله في المستقبل المنظور.

ثالثا–وأخيرا لا يمكن نجاح عمل ما بدون الثقة الكاملة بين أفراد طاقم ذلك العمل بنجاحه، بغض النظر عن نوعه وشكله فضلا عن العمل الإسلامي الذي لا يراد من ورائه غير إعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى، وتطبيق العقيدة الصحيحة التي هي إحدى الأهداف الأربعة العامة من نزول القرآن الكريم.

إن الثقة بالنصر لمن الضروريات التي يجب وجودها في العمل الاسلامي أفرادا وقيادة. وإنه يجب إطمئنان كل واحد إلى الآخر في العمل الإسلامي، حتى يكون هناك ثقة متبادلة، وإنتاج مثمر، وعمل مبارك، فالمطلوب من الجندي الطيب هو طاعة القائد، والإخلاص له، والحب والتقدير له، حبا وتقديرا ينتج عنهما تسليم مطلق، قال تعالى: "فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا[43]". والقائد جزء من الدعوة –ولا دعوة بغير قيادة– وبقدر الثقة المتبادلة بين القائد والجنود تكون قوة نظام الجماعة وإحكام خططها ونجاحها في الوصول إلى غايتها، وتغلبها على ما يعترضها من عقبات وصعاب[44]. وقال تعالى: "وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلا نزلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ[45]" إن للقيادة دورا محوريا في نجاح كل عمل، وكل مشروع، خاصة إذا كان ذلك العمل وذلك المشروع ذات صبغة إسلامية يهدف إلى بناء مجتمع إسلامي كما يريده الله، ولهذا نرى أن للقياد مكانة خاصة في فكرة الإمام البنا، كما أن لها تعريفا دقيقا عنده، حيث يقول رحمه الله تعالى: وللقيادة في دعوة الإخوان حق الوالد بالرابطة القلبية، والأستاذ بالفائدة العلمية، والشيخ بالتربية الروحية، والقائد بحكم السياسة العامة للدعوة، ودعوتنا تجمع هذه المعاني جميعها. والثقة بالقيادة هي كل شيء في نجاح الدعوات، ولهذا يجب أن يسأل كل أخ صادق نفسه هذه الأسئلة، ليتعرف على مدى ثقته في قيادته:

1–هل تعرف إلى قائده من قبل، ودرس ظروف حياته؟

2–هل اطمأن إلى كفاءته وإخلاصه؟

---

41 القرآن، سورة الروم: 47.

42 القرآن، سورة إبراهيم: 13 – 14.

43 القرآن، سورة النساء: 65.

44 حسن ألبنا، **مجموعة رسائل الإمام ألبنا**، دار النداء، تركيا، الطبعة الأولى 2015، صفحة: 277.

45 القرآن، سورة محمد: 20.

3-هل هو مستعد لإعتبار الأوامر التي تصدر إليه من القيادة في غير معصية قاطعة لا مجال فيها للجدل ولا التردد وللإنتقاض ولا للتحوير؟ مع إبداء النصيحة والتنبيه إلى الصواب؟

4-هل هو مستعد لأن يفترض في نفسه الخطأ، وفي القيادة الصواب إذا تعارض ما أمر به مع ما تعلم في المسائل الإجتهادية التي لم ترد فيها نص شرعي؟

5-هل هو مستعد لوضع ظروفه الحيوية تحت تصرف الدعوة؟ وهل تملك القيادة في نظره حق الترجيح بين مصلحته الخاصة، ومصلحة الدعوة العامة؟

وبالإجابة على هذه الأسئلة وأشباهها يستطيع الأخ أن يطمئن على مدى صلته بالقائد، وثقته به. والقلوب بيد الله يصرفها كيف يشاء[46]، وقال تعالى: "لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ[47]". إن هذه الكلمات كلمات حية في نفوس آمنت بربها حق الايمان، واطمأنت إلى حقيقة لا يداهيها أية حقيقة في عالم الوجود، ألا وهي أنه يجب تطبيق حاكمية الله في الأرض، يجب تطبيق مفهوم الألوهية والعبودية في الأرض، يجب رد حق التشريع والتحكيم إلى الله، يجب العمل لها، ويجب بذل كل المستطاع في سبيل تحقيقه، وإلا فلا إيمان ولا إسلام. وما أحوجنا نحن أبناء الأمة الاسلامية أفرادا وقيادة أشد الاحتياج إلى قلوب كهذه.

المحور الثاني-الخوف من مقام الله ووعيده

من متطلبات العقيدة الصحيحة للتمكين في الأرض، ومن ثم الوصول إلى الحياة الإسلامية المنشودة، هو الخوف من مقام الله ووعيده عملا وإعتقادا وسلوكا وأخلاقا في مختلف مجالات الحياة.

إن الخوف من مقام الله وعظمته ووعيده، والشعور بأن الله قادر على كل شيء، يولد روحا معنوية قوية جدا، ويدفع إلى العمل الإسلامي أفرادا وقيادات، ويجعل المؤمنين في وضع لا يتزحزحون مهما اشتدت الصعوبات، وتعاظمت التحديات، واختلفت حسابات الناس.

إن ربط النصر المؤدي إلى الحياة الإسلامية المنشودة، والتمكين في الأرض، بالخوف من مقام الله ووعيده، ليس كلاما بشريا، ولا أمرا خياليا لا يمكن تحقيقه، إنما هو سنة من سنن الله في الحكم والفصل بين الحق والباطل على مر التاريخ. سنة وعد الله بها رسله وجعلها شرطا لإستخلافهم في الأرض، وغلبتهم على أعداءهم الظالمين الذين توعدوهم بأحد الأمرين:

1-إما الطرد والنفي من البلاد.

2-وإما العودة إلى ملتهم -دينهم الباطل- مرة أخرى. قال تعالى: "وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ وَلا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ[48]". يقول الدكتور وهبة الزحيلي في تفسير هذه الآية الكريمة: هذا تطور طبيعي للحوار والصراع بين الرسل والأمم الكافرة، فبعد أن أفلست الأمم في مناقشتها، وهزمت بحجتها أمام حجة الرسل وبيانهم، لم يجدوا سبيلا إلا تأزم الوضع

[46] حسن ألبنا، **مجموعة رسائل الإمام ألبنا**، صفحة: 278.

[47] القرآن، سورة الأنفال : 63.

[48] القرآن، سورة إبراهيم: 13 – 17.

والدخول في صدام وعمل عدواني، فتوعدوا رسلهم بأحد أمرين: إما الطرد والنفي من البلاد. وإما العودة إلى ملتهم وشرعهم الموروث عن الآباء والأجداد. والسبب في هذا التهديد والوعيد هو اغترار الكفار بقوتهم وكثرتهم، وقلة عدد المؤمنين وضعف عددهم، "فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ" وهذا تهديد ووعيد من الله للمشركين في مقابل تهديدهم الرسل، وشتان بين التهديدين، "ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ[49]".

هذا، ومن الجدير بالذكر في هذا المقام أن ننبه إلى نقطة في بالغ الأهمية –كما نعتقد– ألا وهي: أن العود في اللغة: الرجوع إلى الشيء بعد مفارقته، ففي لسان العرب: عاد إليه يعود عودة وعودا: رجع، وقد عاد له بعد ما كان أعرض عنه، والملة في اللغة الشريعة والدين، وهذا المعنى في حق الرسل محال، إذ هم لم يدينوا في أي وقت من الأوقات بملة الكفار، سواء أكان قبل البعثة أم بعدها، ولذلك فقد تعددت إجابات العلماء عن المقصود بهذا العود.

1–منها، أن العود بمعنى الصيرورة، كما يقال: عاد لا يكلمني، أي صار لا يكلمني.

2–ومنها التغليب في الخطاب: أن الكفار خاطبوا به كل رسول ومن آمن به، فغلبوا في الخطاب الجماعة على الواحد.

3–ومنها، لعل الكفار توهموا أن الرسل قبل البعثة كانوا على دينهم هم، فقالوا هذا القول مع أن الواقع ليس كما توهموا[50].

ولا نريد أن نترك الآية الكريمة، إلا بعد توضيحها بكلام سيد قطب رحمه الله، كلام يجب الوقوف عنده طويلا، كلام وكأنه حي يتفاعل ويتعامل مع واقع الحياة الإنسانية، خصوصا في هذه الأيام التي اشتد فيها عداوة أعداء الله لأولياء الله، عداوة عباد الشيطان لعباد الرحمن، عداوة الصهاينة وأعوانهم للمخلصين من أصحاب الأرض المقدسة التي بارك الله فيها، كما كانت هذه العداوة قد بلغت أقصى ذروتها في الأيام الأولى لنزول القرآن الكريم، نعم إنه كلام يتفاعل ويتعامل مع واقع حياتنا اليومية، فها هي العراق، وها هي سورية، وها هي لبنان، وها هي بورما، وها هي كشمير، والقائمة طويلة طويلة، كالبوسنة والهرسك، والصومال، وشيشان، وفطاني جنوب تايلاند، وقضية المسلمين المركزية والمحورية فلسطين التي يراد تهويدها

على مرأي ومسمع من العالم الإسلامي وبأموال المسلمين، وبخيانة عملائهم الحمقى، وغيرها الكثير من بلدان العالم الإسلامي التي جرت وما زالت تجري فيها معارك طاحنة بين معسكرين متناقضين....

على كل حال نرجع إلى كلام السيد مفسرا قوله تعالى: "وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا" يقول رحمه الله تعالى: هنا تتجلى حقيقة المعركة بين الإسلام والجاهلية، إن الجاهلية لا ترضى من الإسلام أن يكون له كيان مستقل عنها، وهي لا تسالم الإسلام حتى لو سالمها، فالإسلام لا بد أن يبدو في صورة تجمع حركي مستقل، بقيادة مستقلة، وولاء مستقل وهذا ما لا تطيقه الجاهلية، لذلك لا يطلب الذين كفروا من رسلهم مجرد أن يكفوا عن دعوتهم، ولكن يطلبون منهم أن يعودوا في ملتهم وأن يندمجوا في تجمعهم الجاهلي، وهذا تأباه طبيعة هذا الدين لأهله، وما يرفضه الرسل.

وعندما تسفر القوة الغاشمة عن وجهها الصلد لا يبقى مجال لدعوة، ولا يسلم الله الرسل إلى الجاهلية، إن التجمع الجاهلي لا يسمح لعنصر مسلم أن يعمل من داخله إلا أن يكون عمل المسلم وجهده وطاقته لحساب التجمع الجاهلي! والذين يخيل إليهم أنهم قادرون على العمل لدينهم من خلال التسرب في المجتمع الجاهلي، والتميع في تشكيلاته وأجهزته، هم ناس لا يدركون الطبيعة العضوية للتجمع، هذه الطبيعة التي ترغم كل فرد داخل المجتمع أن يعمل لحساب هذا المجتمع، لذلك يرفض الرسل أن يعودوا في ملة

---

[49] الزحيلي، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، جزء 13، صفحة: 225 – 226.

[50] النجار جمال مصطفى عبد الحميد، **اقتضاء الصراط المستقيم – تفسير تحليلي لسورة ابراهيم** – مطبعة الحسين الإسلامية 1990. الطبعة الأولى. الصفحة 74 – 75 بتصرف قليل).

قومهم بعد إذ نجاهم الله منها، وهنا تتدخل القوة الكبرى فتضرب ضربتها المدمرة التي لا تقف لها قوة البشر المهازيل، وإن كانوا طغاة متجبرين: "فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ" ولا بد أن ندرك أن تدخل القوة الكبرى للفصل بين الرسل وقومهم إنما يكون دائما بعد مفاصلة الرسل لقومهم، بعد أن يرفض المسلمون أن يعودوا إلى ملة قومهم بعد إذ نجاهم الله منها، وبعد أن يصروا على أساس العقيدة أمتين مختلفتين عقيدة ومنهجا وقيادة وتجمعا، عندئذ تتدخل القوة الكبرى لتدمر على الطواغيت الذين يتهددون المؤمنين، ولتمكن للمؤمنين في الأرض، ولتحقق وعد الله لرسله بالنصر والتمكين." فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ " لا محاباة ولا جزافا، إنما هي السنة الجارية العادلة: "ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ" فلم يتطاول ولم يتعال ولم يستكبر ولم يتجبر، وخاف وعيد، فحسب حسابه، واتقى أسبابه، فلم يفسد في الأرض، ولم يظلم في الناس، فهو من ثم يستحق الاستخلاف. وهكذا وقف الطغاة المتجبرون بقوتهم الهزيلة الضئيلة في صف، ووقف الرسل الداعون المتواضعون ومعهم قوة الله سبحانه في صف. ودعا كلاهما بالنصر والفتح. وكانت العاقبة كما يجب أن تكون: "وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ وَلا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ". والمشهد هنا عجيب. إنه مشهد الخيبة لكل جبار عنيد، مشهد الخيبة في هذه الأرض[51].

هذه هي حقيقة المعركة بين الإسلام وبين الجاهلية منذ آدم عليه السلام وإلى يومنا هذا وإلى أن يشاء الله تعالى، فمن يريد نجاح العمل الإسلامي في مواجهة الطغاة، والوصول بالأمة إلى حياة إسلامية من جديد، فليراجع مصدر هذا العمل الذي هو القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، فيهما ما يكفيه، إن ألقى السمع وهو شهيد.

إن معركة الإسلام مع الطواغيت بكل أنواعهم وأشكالهم، وأعداء الإسلام بكل طوائفهم، معركة قديمة مستمرة، كل يوم هي في ثوب جديد، ولهذا كلما تكون هناك غلبة للطواغيت وأعداء الإسلام على الإسلام وأهله ترتفع أصوات:"ها هي نهاية الإسلام تقترب"، لقد رأينا ونرى في وقتنا الحاضر عندما نجحت القوى الشريرة في ضرب الحق، وتغيير معالم الدين، بإسقاط الخلافة الإسلامية العثمانية أولا، وبإحتلال فلسطين ثانيا، وإرادة إبادة الشعب البوسني، والعراقي، واللبناني، والسوري، والليبي، والكشميري وغيرهم من الشعوب المسلمة ثالثا:" ارتفعت أصوات في كل أرجاء المعمورة قائلة: بدأت نهاية الإسلام تقترب! يوشك أن يوارى في الثرى"! هكذا قالوا، وهكذا سيكررون المقولة في كل مرة ينجحون في توجيه ضربة إلى الإسلام وأهله. ولكن شاهت الوجوه! هم يحسبونها النهاية، ونحن نحسبها بداية، وسنجعلها بداية الصعود والتحرير من عبودية العباد إلى عبادة رب العباد كرة أخرى. وقد جعلناها ولله الحمد.

يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله: إن حقائق القرآن لن تتلاشى، والأساطير التي كذبت على الله وعلى الناس لن تخلد. وإن الصراط المستقيم لن تطمس شاراته أو تضيع آياته، وعلى مسلمي الحاضر والقادم أن يواجهوا قدرهم، ويؤدوا واجبهم. الأعداء كثيرون، والعوائق صعبة، والكفاح طويل، وربما صاح المرء وهو يودع محنة ويستقبل أخرى: أما لهذا الليل من فجر؟ إن الفجر سيطلع حتما، ولو يطوينا الليل مكافحين أشرف من أن يطوينا راقدين[52]. فعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "مَنْ خَافَ أَدْلَجَ (الدجلة: السير أول الليل. وقيل: سير الليل كله) وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ

[51] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، المجلد الخامس، صفحة: 2092 – 2093.

[52] محمد الغزالي، **قذائف الحق**، دار القلم، دمشق، الطبعة: الأولى، 1991م، صفحة: 36.

اللَّهِ الْجَنَّةُ[53]".

المحور الثالث–التوكل على الله

من متطلبات العقيدة الإسلامية الصحيحة للتمكين في الأرض، والوصول إلى الحياة الإسلامية المنشودة في دنيا الناس، هو التوكل على الله سبحانه وتعالى. والتوكل مشتق من الوكالة، يقال: وكل فلان أمره إلى فلان، أي فوضه إليه واعتمد فيه عليه. وقد أشار القرآن الكريم وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذا المعنى في أمكان كثيرة. كما في قوله تعالى:" إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ[54]"، يقول الشيخ رضا رحمه الله تعالى: والطائفتان هما بنو سلمة وبنو حارثة من الأنصار، والله وليهما أي متولي أمورهما لصدق إيمانهما، لذلك صرف الفشل عنهما وثبتهما فلم يجيبا داعي الضعف الذي ألم بهما عند رجوع نحو ثلث العسكر بل تذكروا ولاية الله للمؤمنين فوثقا به وتوكلا عليه وعلى الله فليتوكل المؤمنون أمثالهم، لا على حولهم وقوتهم، ولا على أعوانهم وأنصارهم، وإنما يبذلون حولهم وقوتهم ويأخذون أهبتهم وعدتهم إقامة لسنن الله تعالى في خلقه إذ جعل الأسباب مفضاة إلى المسببات، فينصر الفئة القليلة على الكثيرة إن شاء كما نصر المؤمنين يوم بدر[55]، وقوله: "وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ[56]"، يقول الإمام الشوكاني رحمه الله: أي: ومن وثق بالله فيما نابه كفاه ما أهمه[57].

هذا، ولا يخفى أن التوكل في الآيتين يعني معنى تفويض الأمر إلى الله سبحانه وتعالى، بعد أن يؤدي الإنسان واجبه. كما يفهم هذا المعنى كذلك من قول الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي أخرجه الإمام الترمذي وابن ماجه في سننهما والإمام أحمد في مسنده: عَنِ ابْنِ هُبَيْرَةَ عَنْ أَبِي تَمِيمٍ الْجَيْشَانِيِّ قَالَ سَمِعْتُ عُمَرَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: "لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا[58]".

إن التوكل على الله تعالى هو السلاح الروحي الذي يجعل من الضعف قوة، ومن القلة كثرة. وهو الذي واجه به رسل الله عليهم الصلاة والسلام طغاة أقوامهم، ولم يخفهم طغيانهم ولم يزلزلهم أذاهم، بل قالوا: "وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ[59]". وليكن معلوما أن ليس معنى التوكل اطراح الأسباب، وإهمال السنن، وإنتظار الحصاد من غير زرع، أو نمو الزرع بغير تعهد، بل التوكل هو ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم والرسل من قبله عليهم الصلاة والسلام: بذل كل ما في الوسع وترك النتائج لله ثقة به، ويقينا بوعده، وإيمانا بنصره.

هذا، والجدير بالذكر هنا أن التوكل غير التواكل –الذي هو إطراح الأسباب، واهمال السنن، وانتظار الحصاد من غير زرع–إذ ليس من المعقول أن يكون الإنسان المجد متواكلا، فضلا عن الإنسان العالم العامل الداعي إلى إخراج الناس من عبادة العباد إلى

---

[53] الترمذي محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، **الجامع الكبير – سنن الترمذي**، المحقق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، 1998م، عدد الأجزاء: 6، الجزء الرابع، صفحة: 214، رقم الحديث: 2450.

[54] القرآن، سورة آل عمران: 122.

[55] محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني، **تفسير المنار**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م، عدد الأجزاء: 12 جزءا، الجزء الرابع، صفحة: 90.

[56] القرآن سورة الطلاق: 3.

[57] الشوكاني محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى – 1414هـ، العدد 5 مجلدات، المجلد الخامس، الصفحة: 289.

[58] ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، **سنن ابن ماجه**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي، عدد الأجزاء: 2، باب التوكل واليقين، المجلد الثاني، صفحة: 1394، رقم الحديث: 4164.

[59] القرآن، سورة إبراهيم: 12.

عبادة رب العباد.

إن الفرق بين التوكل والتواكل لفرق شاسع، ولا ينبغي أن يفهم بأي حال من الأحوال أنهما سيان. كما لا ينبغي بأي حال من الأحوال أن يفهم أن معنى التوكل هو الاستغناء عن الأسباب والوسائل لتقدم عجلة العمل الإسلامي إلى الأمام.

إن الاعتماد على الأسباب والوسائل أمر مطلوب شرعا، قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ[60]". يقول الإمام السعدي رحمه الله في قوله تعالى: "وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ" أي: القرب منه، والحظوة لديه، والحب له، وذلك بأداء فرائضه القلبية، كالحب له وفيه، والخوف والرجاء، والإنابة والتوكل. والبدنية: كالزكاة والحج. والمركبة من ذلك كالصلاة ونحوها، من أنواع القراءة والذكر، ومن أنواع الإحسان إلى الخلق بالمال والعلم والجاه، والبدن، والنصح لعباد الله، فكل هذه الأعمال تقرب إلى الله. ولا يزال العبد يتقرب بها إلى الله حتى يحبه الله، فإذا أحبه كان سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها ويستجيب الله له الدعاء[61].

نعم إن الاعتماد على الأسباب والوسائل مطلوب شرعا، شريطة أن لا تكون تلك الأسباب والوسائل مخالفة للشرع الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن الميزان الوحيد في يد الداعي إلى تحرير العباد من عبودية العباد إلى عبودية رب العباد هو الميزان الإسلامي، لا الميزان البشري، لا ما اصطلح عليه البشر، لا ما ألفه الناس، بل ما قرره رب البشر، وشرعه رب الناس.

إن خطأنا اليوم يأتي من أننا نحسب حسابا لما يقوله الناس، ولما يفعله الناس، ولما يملكه الناس، ولما يصطلح عليه الناس، ولما يتخذه الناس في واقع حياتهم من قيم واعتبارات وموازين، لأننا نغفل أو نسهو عن الأصل الذي يجب أن نرجع إليه في الوزن والقياس والتقويم، إنه منهج الله وشريعته وحكمه، فهو وحده الحق وكل ما خالفه فهو باطل ولو كان عرف ملايين الملايين، ولو أقرته الأجيال في عشرات القرون. إنه ليست قيمة أي وضع، وأي عرف، وأي تقليد، وأية قيم. أنه موجود، وأنه واقع وأن ملايين البشر يعتنقونه ويعيشونه ويتخذونه قاعدة حياتهم. فهذا ميزان لا يعترف به التصور الاسلامي، إنما قيمة أي وضع، وأي عرف، وأي تقليد، وأية قيم أن يكون لها أصل في منهج الله الذي منه وحده تستمد القيم والموازين. وهكذا ينبغي أن يفهم جيدا أن العصبة المؤمنة انما تجاهد في سبيل الله من هذا المنطلق، ولا تخاف لومة لائم. فهذه هي سمة المستضعفين المختارين للاستخلاف والتمكين في الأرض.

وهكذا نرى أن أمر التوكل أمر هائل، وله وزن ثقيل في المنهج الاسلامي وأنه يجب على المستضعفين أصحاب العقيدة الصحيحة الذين يريدون إستئناف الحياة الإسلامية في الأرض من جديد أن يأخذوا بالاعتبار هذه المفاهيم، وهذه الحقائق، وهذه المتطلبات التي لا يمكن بدونها تحقيق أي نصر، ولا الوصول إلى أي حياة إسلامية تذكر على أرض الواقع.

الخلاصة

لعل أهم النتائج التي توصل إليها البحث هي ما يلي:

---

[60] القرآن، سورة المائدة: 35.

[61] السعدي عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى 1420هـ -2000م، صفحة: 230.

أولا– أن دور العقيدة في التمكين العوامل والتحديات حقيقة تاريخية ثابتة، وأن القرآن الكريم والسنة النبوية اهتما به أي إهتمام مما يدل على أنه لا كرامة ولا حياة شريفة للمسلمين إلا بالتمكين في الأرض كما يريده الله.

ثانيا– أن المسلمين اليوم يمرون بمرحلة لا تحسد عليها من التخلف والتهميش في حياتهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والأخلاقية، وبالتالي يكون لعوامل التمكين في الأرض الدور الرائد في تحديد الهدف الإستراتيجي وكيفية الإستفادة من طاقات الأمة الإسلامية، حتى ترتقي إلى المستوى المطلوب من جديد.

ثالثا– أن الإسلام بنظرته الشمولية قدم مفهوما للتمكين يستوعب كافة شؤون الحياة البشرية، وقدم نظاما فريدا في الوصول إليه. قال تعالى: "وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ[62]".

رابعا– من سنن الله التي لا تتخلف ولا تتبدل في خلقه:" إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ[63]". فلما غير المسلمون ما بأنفسهم من عزة وشرف وكرامة الإسلام، كان من العجب أن لا يغيرهم الله، وأن يبدلهم الذل والضعف، بدل العزة والقوة.

خامسا– يجب على المسلمين الذين يريدون إستئناف الحياة الإسلامية كما يريدها رب العباد، أن يكونوا على ثقة تامة بأن نصر الله لهم قادم لا محالة، مهما رأى الآخرون غير ذلك، ومهما تباطأ الناس في استجابة دعوتهم الإيمانية، لأن الميزان الذي يجب أن يعتمد عليه الدعاة هو الميزان الإلهي، لا الميزان البشري، قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ[64]". وقال تعالى: "وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ[65].

سادسا– أن الإيمان ليس مجرد كلمة تقال هكذا، بل لا بد من تجربة تثبت أن المستضعفين فتنوا ونجحوا في الفتنة، والفتنة هي الامتحان، فلا تحسبوا أن المسألة سوف تمر بسهولة ويكفي أن تقولوا نحن نحمل دعوة الحق. قال تعالى: "أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ، وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جاهَدُوا مِنْكُمْ، وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ[66]".

سابعا– بالرجوع إلى القرآن الكريم والسنة النبوية وتاريخ صدر الإسلام يجاب على الأسئلة الآتية:

1- أين عزة المؤمنين من قوله تعالى: "وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ؟[67]".

2- لم هذا الخذلان للمسلمين؟ والله يقول:" وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ[68]".

3- ولماذا تجب الثقة بالنصر، والتضحية في سبيل تحقيقه؟

أن السبب الذي ساد به المستضعفون سابقا، واستقام به أمرهم قد أصبح مفقودا إلى حد كبير اليوم.

ثامنا– عند المقارنة بين المسلمين وغير المسلمين يظهر أن المسلمين اليوم أو أكثرهم فقدوا حماسة القتال، والاستشهاد في سبيل الله، التي كانت عند الصحابة رضي الله عنهم، بل للأسف الشديد تخلق بها أعدائهم الذين لم يوصهم كتابهم بها، فتجد جنودهم تتوارد على حياض المنايا سباقا، وتتلقى الأسنة والحراب عناقا، ولقد كان مبلغ مفاداتهم بالنفائس وتضحيتهم للنفوس في الحرب العالمية فوق تصور عقول البشر، كما هو معلوم لكل باحث.

---

[62] القرآن، سورة القصص: 5.

[63] القرآن، سورة الرعد: 11.

[64] القرآن، سورة محمد: 7.

[65] القرآن، سورة الروم: 47.

[66] القرآن، سورة آل عمران: 142.

[67] القرآن، سورة المنافقون: 8.

[68] القرآن، سورة الروم: 47.

تاسعا– أن المسلمين اليوم يعانون من أزمة الثقة في القيادة، فهل تعرفوا إلى قائدهم من قبل، ودرسوا ظروف حياته؟ وهل اطمأنوا إلى كفاءته واخلاصه؟ وهل هم مستعدون لأن يفرضوا في أنفسهم الخطأ، وفي القيادة الصواب إذا تعارض ما أمرهم به مع ما تعلموا، وهل هم مستعدون لوضع ظروفهم الحيوية تحت تصرف الدعوة؟ وهل تملك القيادة في نظرهم حق الترجيح بين مصلحتهم الخاصة، ومصلحة الدعوة العامة؟

عاشرا– أن أهم حقيقة تجلت من خلال البحث هي أن المعركة بين الإسلام والجاهلية حقيقية وتاريخية. وأن الجاهلية لا ترضى من الإسلام أن يكون له كيان مستقل عنها. وهي لا تسالم الإسلام حتى لو سالمها. "وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا[69]".

الحادي عشر– أن التوكل على الله تعالى للتمكين في الأرض هو السلاح الروحي الذي يجعل من الضعف قوة ومن القلة كثرة. وهو الذي واجه به رسل الله عليهم الصلاة والسلام طغاة أقوامهم، ولم يخفهم طغيانهم ولم يزلزلهم أذاهم، بل قالوا: "وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ[70]".

الثاني عشر– أن معنى التوكل ليس هو إطراح الأسباب، وإهمال السنن، وانتظار الحصاد بغير زرع، بل التوكل هو ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم والرسل من قبله: بذل كل ما في الوسع وترك النتائج لله ثقة به، ويقينا بوعده، وإيمانا بنصره، وإلا فهو التواكل وليس التوكل.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه منار الحق ونجوم الرشاد، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المراجع

القرآن الكريم.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، **تفسير القرآن العظيم**، المحقق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى - 1419 هـ.

الأمير شكيب أرسلان، **لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم**، مؤسسة هنداوي سي آي سي.

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، 1417 هـ - 1997م.

الترمذي محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، **الجامع الكبير – سنن الترمذي**، المحقق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، 1998م.

حسن ألبنا، **مجموعة رسائل الإمام ألبنا**، دار النداء، تركيا، الطبعة الأولى 2015.

الزحيلي، وهبة بن مصطفى، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة: الثانية، 1418هـ.

سيد قطب، **في ظلال القرآن**، دار الشروق، 1985، الطبعة الحادية عشرة.

[69] القرآن، سورة إبراهيم: 13.

[70] القرآن، سورة إبراهيم: 12.

الشعراوي. محمد متولي، **تفسير الشعراوي**، مطابع أخبار اليوم، 1997.

القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964م.

محمد الغزالي، **قذائف الحق**، دار القلم، دمشق، الطبعة: الأولى، 1991م.

محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني، **تفسير المنار**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.

النجار جمال مصطفى عبد الحميد، **اقتضاء الصراط المستقيم – تفسير تحليلي لسورة ابراهيم** – مطبعة الحسين الإسلامية، 1990. الطبعة الأولى.

الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، 1415 هـ.